

ظلت مسألة استئناف العلاقات المصرية-الإيرانية لسنوات طويلة محلاً للخلافات والجدل بين النخبة السياسية في داخل مصر وخارجها، فبينما يرى البعض أن استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين يمكن أن تكون ورقة رابحة لدعم المحور الإسلامي الجديد في الشرق الأوسط الذي من خلاله يمكن مواجهة التوسع الأميركي في المنطقة، وإحباط المحاولات "الإسرائيلية" لتكريس احتلالها للمناطق العربية؛ اعتبرها البعض الآخر بأنها ستكون أكثر خطورة على مصر وتعرضها لعزله عربية قبل أن تكون دولية وأن خسائر استئناف تلك العلاقات ستكون أكبر من مكاسبها.

ويبدو أن ملامح هذا الجدل لم تتغير كثيراً منذ ثورة 52 يناير المجيدة، لكن الحديث عن استئناف العلاقات المصرية-الإيرانية بات أكثر توسعاً وعلانية وبدأ يحتل مكانة ملحوظة في الحديث عن السياسة الخارجية الجديدة المتبلورة لمصر.

صعود وهبوط

على أية حال فقد شهدت العلاقات بين القاهرة وطهران منذ منتصف القرن العشرين حالات من الصعود والهبوط، ارتبطت في بعض الأحيان بالعلاقات الشخصية بين الأسر الحاكمة في البلدين، حيث شهدت تلك العلاقات توطيداً كبيراً وملحوظاً منذ زواج الأميرة فوزية شقيقة الملك فاروق، ملك مصر في الأربعينيات من القرن الماضي من نجل شاه إيران، ثم ما لبثت أن توترت تلك العلاقات بشده بعد انفصالهما، ثم تدهورت أكثر عقب ثورة 1952 في مصر بعد تعارض مصالح النظامين في كلا البلدين كانت "إسرائيل" فيها كلمة السر.

لكن العلاقات بين البلدين تم استئنافها بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر وشهدت مرة أخرى تدعيماً قوياً خلال فترة حكم الرئيس أنور السادات. لكن انقطعت تلك العلاقات تماماً مع إنقلاب الخوميني في عام 1979 خاصة بعد موافقة السادات على استضافة شاه إيران في مصر بعد إسقاطه، ودعم مصر للعراق في حربها ضد إيران التي استمرت ثمان سنوات .

هكذا ظلت العلاقات المصرية الإيرانية جامدة لسنوات طويلة إلى أن جاء الرئيس أحمدى نجاد بعد توليه الرئاسة في طهران عام 2005 لتشهد العلاقات بين البلدين مزيد من التوتر والتدهور، انعكس من خلال الاتهامات التي وجهتها مصر لإيران بممارسة التشيع في مصر ومحاولات اغراء الفقراء المصريين بالأموال لإعنتاق التشيع إلى جانب إتهامها بالتجسس ودعم أنظمة إرهابية تعمل ضد مصر.

ورغم المحاولات العديدة التي بذلت لاستئناف العلاقات بين القاهرة وطهران خلال حكم الرئيس المصرى السابق حسنى مبارك، لكن باءت جميعها بالفشل خاصة وأن هذا النظام البائد كان يستخدمها كورقة مساومة وضغط على كل من "إسرائيل" والولايات المتحدة لتحقيق أغراض شخصية تخدمه هو ونظامه، هدفها في المقام الأول إجبار واشنطن على تجاهل انتهاكات نظامه ضد الشعب المصرى وقمع حرياته، ومن ناحية أخرى ليثبت للمصريين بأن نظامه لايزال قوياً وأنه قادر على وقف المخططات التوسعية الإيرانية في المنطقة.

التحول المصري

لكن بعد سقوطه المدوى عقب ثورة 25 يناير اختلفت لغة الحديث المصرية مع إيران، بالرغم من عدم تغير الموقف المصرى الرسمى حتى الآن، لكنها باتت أكثر انفتاحاً ومرونة نحوها وانعكس ذلك من خلال عدة تصريحات لوزير الخارجية المصرى السابق نبيل العربى، وموافقة السلطات المصرية على عبور سفينتين حربيتين إيرانيتين عبر قناة السويس.

هذا التحول الشكلي فقط فى الموقف المصرى حيال إيران بعد الثورة شجع طهران كثيراً للوقوف فى مواجهة الغرب من ناحية، وشجعها أكثر على استفزاز دول الخليج العربى من ناحية أخرى، ولعل أبرز تلك الاستفزازات على الإطلاق

إثارة إيران للقلق فى مملكة البحرين من خلال تحريض الشيعة فيها على قلب نظام الحكم هناك.

فى المقابل لاحظنا منذ اندلاع ثورة 25 يناير وجود إصرار إيراني على اجتذاب مصر لاستئناف العلاقات معها ومحاولة تحسين صورتها بين أبناء الشعب المصري، أنعكس ذلك من خلال مواقف رسمية إيرانية مؤيدة للثورة المصرية وداعمة لمصر بعد سقوط نظام مبارك، وربما كان أبرزها خطاب على خامنئى باللغة العربية الذى وجهه للشعب المصري قبل تنحي الرئيس مبارك لمغازلته واستقطابه، إلى جانب تصريحات الرئيس الإيرانى أحمدى نجاد الداعية لاستئناف العلاقات مع القاهرة والمكاسب التى ستحققها الدولتين من التعاون المشترك بينهما، ومن بينها تصريحه الصادر فى 1/6/2011 الذى أكد فيه على أن التعاون بين مصر وإيران سيؤدى إلى بلورة قوة عظمى تجبر أعدائها والصهاينة على الهروب من المنطقة. كما أعرب الرئيس الإيرانى عن استعدادة للقبول فوراً لأية دعوة توجه له لزيارة مصر.

مؤامرات متشابهة

هذا الموقف الإيرانى المريب حيال تدعيم العلاقات مع مصر ما بعد الثورة يذكرنا بالموقف الصهيونى مع النظام المصرى السابق، فكلاهما يستخدم الوسائل والأدوات ذاتها فى التلاعب بمصر لتحقيق أغراضه الدنيئة ومخططاته الخبيثة، بما تخدم مصالحه فقط، وكل طرف يسعى لوضع مصر فى خندقه لمواجهة أعدائه للاستقواء بها، نظراً لمكانتها الإقليمية المهمة وتاريخها العريق.

فكما سعت تل أبيب لاستغلال مصر خلال حكم مبارك فى حربها ضد إيران، تفعل إيران الشئ نفسه مع مصر بعد حكم مبارك لتستخدمها ضد "إسرائيل"، حيث تلعب إيران على الوتر الشعبى والدينى الحساس واستقطابها لعدد من الشخصيات العامه المصرية لتحسين صورتها بين أبناء الشعب المصرى وذلك باستقبالها مؤخراً لوفد ضم 45 مصرياً للمشاركة فى مؤتمر إسلامى فى إيران.

والمفارقة أن هذا الوفد قد سافر على نفس متن الطائرة التى تم فيها ترحيل دبلوماسى إيرانى أتهم بالتجسس على مصر لصالح إيران .

عراقيل ومعوقات

لكن السؤال المطروح حالياً بقوة فى هذه المرحلة هو هل ستنجح إيران فى إختراق السياج المصرى وتستأنف العلاقات الدبلوماسية معها بعد قطيعة دامت لأكثر من ثلاثة عقود، وهل يمكن لإيران أن تتغلب على المعوقات التى تقف أمامها للوصول إلى مصر ، والتى يمكن إجمالها فى النقاط التالية:

* معارضة الدول العربية وبخاصة دول الخليج العربى التى تتعرض للتهديد المباشر من إيران لمثل هذه العلاقات، والتى ترى أن استئنافها سيكون تشجيعاً للعريضة الإيرانية فى المنطقة والإعتداء على سيادتها، كما حدث مع مملكة البحرين. وقد انعكس الموقف الخليجى بوضوح هذا خلال زيارة رئيس الوزراء المصرى عصام شرف، لمنطقة الخليج فى مايو الماضى.

* استئناف العلاقات سيلزم مصر التنسيق مع السياسة الإيرانية ضد "إسرائيل" بينما ترى القيادات المصرية فى السلام مع "إسرائيل" مصلحة استراتيجية عليا.

* قبل أن تقرر استئناف العلاقات سيتعين على مصر التفكير فى الموقف الأمريكى الذى يدعم النظام المصرى الجديد ويقدم له المساعدات المالية السخية، فهل تستطيع إيران توفير هذه المساعدات لكي تكون بديلاً لواشنطن فى العلاقات مع مصر.

* هل ستوافق إيران على محو اسم قاتل الرئيس المصرى الراحل أنور السادات من على أهم شوارع طهران

لإرضاء الحكومة المصرية رغم رفض النظام الإيراني لذلك في مناسبات عديدة سابقة، خاصة مع إصرار حزب الله الإيراني على أن محو اسم الاسلامبولي، قاتل السادات، سيغضب الله.

* هل لدى إيران ما تقدمه لمصر من مساعدات اقتصادية ومالية يمكن تعويضها عما قد تخسره من دعم خليجي وغربي في حال موافقتها على إستئناف العلاقات معها.

* هل ستوقف إيران مخططاتها ومؤامرتها ضد مصر لنشر الفكر الشيوعي في أكبر دولة سنية في العالم الإسلامي، أم ستتخذ مسألة استئناف العلاقات كمرحلة انتقالية في تنفيذ خططها الشيعية بالمنطقة.

كل هذه المعوقات سألقة الذكر من الصعب على النظام الإيراني الحالي التغلب عليها دفعة واحدة، في ظل التهديدات التي تواجهه سواء من جانب الغرب بسبب البرنامج النووي، أو بسبب المخاوف من أن يصل تسونامي الثورات العربية إلى بلاد فارس، لاسيما وأن محاولات الانقلاب ضد نظام الملالي في طهران قد تكررت كثيراً رغم أنها قد باءت بالفشل نتيجة للقمع الوحشي للنظام الإيراني ضد المتظاهرين.

لكن عند الحديث عن ثورات التحرر العربية ضد الأنظمة القمعية يتبادر إلى الأذهان الثورة السورية والتي تثير التساؤل مجدداً هل ستدفع إمكانية إسقاط النظام السوري برئاسة بشار الأسد إيران للسير قدماً نحو استئناف العلاقات مع مصر بأي ثمن لتكون بديلاً للنظام السوري الموالي لها، بعد أن باتت أيام انهياره معدودة، لكي تكون قاعدة راسخة تركز عليها في تحركاتها بمنطقة الشرق الأوسط، كما كانت سوريا طوال العقود الماضية.

على أية حال فإن مسألة استئناف العلاقات الدبلوماسية بين مصر وإيران باتت مرهونة بأوضاع إقليمية ودولية وداخلية متشابكة، وأنها ستكون أكثر ارتباطاً بهوية النظام الجديد الذي سينشأ في مصر عقب إجراء انتخابات برلمانية ورئاسية جديدة، وليس هناك أدنى شك أنه في حال عودة العلاقات المصرية الإيرانية سيحمل الكثير من الدلالات والأبعاد الإقليمية والدولية، وستتغير معها مجدداً صورة الخريطة الجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط، لكنها في نهاية المطاف ستظل متأرجحة بين الحقيقة والوهم.

كاتب المقالة : د. سامح عباس

تاريخ النشر : 29/06/2011

من موقع : موقع الشيخ محمد فرج الأصفر

رابط الموقع : www.mohammdfarag.com